

استدعاء التراث التاريخي في شعر جواد الحطّاب

أ.م.د. رسول بلاوي

جامعة خليج فارس، بوشهر - إيران

r.ballawy@pgu.ac.ir

توفيق رضاپور محبسنی

(طالب ماجستير في جامعة خليج فارس، بوشهر - إيران)

الملخص

استدعى جواد الحطّاب المادة التاريخية في قصائده استدعاءً فنياً إيحائياً ويعود ذلك إلى علمه ومعرفته العميقة بالتراث العراقي والعربي، إذ استحضر شخصيات وأحداث مختلفة من عصور متباعدة، وربطها بأحداث زمننا الذي نعيش فيه. إنّ هذا البحث بالاعتماد على المنهج الوصفي - التحليلي، حاول أن يكشف طبيعة البواعث التي دعت الشاعر جواد الحطّاب إلى توثيق علاقته بالتاريخ بالإضافة إلى الكشف عن سبل توظيف المادة التاريخية وماتتطوي عليه من معانٍ ودلالات. وفرضية البحث أن الشاعر استدعى المادة التاريخية في شعره للتعبير عما يشعر به من معاناة شعبه ومشاكله وأزماته. فهو عرض الأحداث والشخصيات التاريخية في شعره ليوازن بينها وبين ما يحدث على الأرض أو يترك الموازنة والاستنباط للقارئ ليقوم بها.

الكلمات الرئيسية: الشعر العراقي المعاصر، الاستدعاء، التراث التاريخي، البصرة، جواد الحطّاب.

Recalling historical heritage in jawad Alhattab Poetry

Rasoul Balavi

Assistant Professor, department of Arabic language and literature,

Persian Gulf University, Bushehr – Iran

r.ballawy@pgu.ac.ir

Tofigh Rezapour Mohaysany

MA student, department of Arabic language and literature, Persian

Gulf University, Bushehr – Iran

Abstract

jawad Alhattab recalled the historical material in his poem in a technical Inspirational way and that's because of his deep knowledge in Iraqi and Arabic heritage. He recalled characters and events from distant eras and linked them to actual events. This Descriptive analytically study try to detect the causes which made the poet to consolidate his relation to history. It will also detect the ways and meaning of using historical material. Then, the study will show that the poet recalled history material to express his nation suffering and problems and crises. By this point, he present these events and historical characters in his poet to balance between them and actual events or to let the reader do that.

Keywords: Iraq Contemporary Poetry, Recalling, historical heritage, Basra, jawad Alhattab.

١. المقدمة

التاريخ هو تدوين ووصف وتحليل الوقائع والأحوال التي حدثت في الماضي من أجل الوصول إلى حقائق وقواعد تساعد على فهم اليوم والتنبؤ بالغد. وهو «ليس وصفا لحقبة زمنية من وجهة نظر معاصر لها. إنه إدراك إنسان معاصر أو حديث له. فليست هناك إذن صورة ثابتة جامدة لأية فترة من هذا الماضي»^١. و«الأحداث التاريخية والشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة، تنتهي انتهاء وجودها الواقعي، فإن لها إلى جانب ذلك دلالتها

الشمولية الباقية، والقابلة للتجدد - على امتداد التاريخ - في صيغ وأشكال أخرى»^٢.

إن العلاقة بين الشعر والتاريخ وطيدة والشعر العربي المعاصر له حظ وافر من استدعاء الأحداث والشخصيات التاريخية أو المادة التاريخية بشكل عام. ظاهرة استدعاء التاريخ بالنسبة للشاعر ليست مجرد ذكر أسماء أو سرد أحداث تاريخية بل وسيلة تعبير وإحياء في يد الشاعر يعبر بها عن رؤياه المعاصرة، فالشاعر الحديث، عندما يستحضر المادة التاريخية يحاول من خلال توظيفه إيها أن ينتج دلالة شعرية حديثة تتناسب مع أوضاع العصر الحديث. يهدف هذا البحث إلى تتبع علاقة الشاعر جواد الحطّاب بالتاريخ العربي والعراقي ودراسة الشخصيات والأحداث المستدعاة في شعره كما يهدف أيضاً إلى التعرف على طبيعة البواعث التي دعت الشاعر جواد الحطّاب إلى توثيق علاقته بالتاريخ فضلاً عن كشف سبل توظيف المادة التاريخية وماتتطوي عليه من معان ودلالات.

الشاعر جواد الحطّاب هو خير مثال للشعراء العراقيين الذين استدعوا المادة التاريخية، فهذا البحث من خلال التقصي والتتقيب عن عناصر التاريخ في شعر جواد الحطّاب حاول أن يجيب عن الأسئلة التالية:

- ماذا قصد الحطّاب من استدعاء الشخصيات التاريخية في قصائده؟
- كيف استطاع الشاعر أن يضيف للقصيدة الحديثة شيئاً جديداً من خلال توظيفه للمادة التاريخية؟

- إلى أي مدى وجد الشاعر في الشخصيات التي قام باستدعاءها متفكساً لأحزانه وأحزان أمته؟

١-١. خلفية البحث

نُشرت دراسات قيمة حول استدعاء التراث في الأدب العربي، منها: كتاب «استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر» لعلي عشري زايد الذي نشر عام ١٩٩٧م في القاهرة عن دار الفكر العربي، وكتاب «الرموز التراثية العربية في الشعر العربي الحديث» لخالد الكركي الذي نشر عام ١٩٨٩ عن دار الجيل للطباعة والتوزيع، وكتاب «اثر التراث في الشعر العراقي الحديث» لعلي حداد، نشر عام ١٩٨٦ عن دار الشؤون الثقافية في بغداد.

أما حول الشاعر جواد الحطّاب فقد كُتبت عدّة دراسات، منها:

- كتاب «أفعى جلجماش وعشبة الحطاب الجديدة»، حسين سرمك (٢٠٠٤م)، مطبعة الدار العربية، بغداد: وهو مجموعة دراسات في المنجز الإبداعي للحطاب في الشعر والنثر.
- كتاب «التلقّي والتأويل في شعر جواد الحطّاب»، خالدة خليل (٢٠١٣م)، اتحاد الناشرين العراقيين: ويتكوّن من ثمانية مباحث، الأوّل: مضامين المقاومة في (إكليل موسيقى على جثة بيانو)، الثاني: السخرية في (إكليل موسيقى على جثة بيانو)، الثالث: استغاثة الأعزل، الرابع: مخالفة السائد، الخامس: الشعر راصد التاريخ، السادس: الشعر وقود الحياة، السابع: شاعرية الإكليل، والمبحث الأخير: صدى في النفس.
- كتاب «استنطاق الحجر»، للكاتب ياسين النّصير (٢٠١٧)، دار الفراهيدي للطباعة والنشر، بغداد: احتوى الكتاب الذي تكوّن من ٢٢٥ صفحة على مقدمة أسماها الناقد "شيء من السيرة" وخمسة فصول تخصص الجزء الرابع منها لقراءات متنوعة لبعض منجز الحطاب بعنوان "قراءات في تجارب شعرية" درس فيها الناقد النصير "ربيّة وادي السلام - قصيدة من يأبه - إكليل موسيقى على جثة بيانو - بروفايل للريح / رسم

جانبي للمطر - المرئي في التماثيل" في حين جاء الفصل الخامس كخلاصة للقراءات السابقة كما رآه الناقد "بدايات لنهاية مفتوحة". والملاحظ من عناوين هذه البحوث أنَّها لم تدرس الشخصيات والأحداث التاريخية أو المادة التاريخية عامةً في شعر جواد الحطاب. لقد كان خلو المجال من بحث متخصص، فضلاً عن بكارته وخصوبته هو الحافز الأول لاختيار هذه الظاهرة موضوعاً لهذا البحث.

٢. حياة الشاعر

شاعر عراقي وُلِدَ في البصرة عام ١٩٥٠. يعتبر من رواد الأدب التسجيلي في العراق إذ سجّلت قصائده مايتعرض له المواطن العراقي من فقرٍ وقهرٍ ومشقةٍ وتكليفٍ متواصل. وهو من الشعراء السياسيين المعاصرين المهمين في العراق. تصنّفه الدراسات النقدية بأنه من (الموجة الثانية) لشعر السبعينيات؛ وإن كان الناقد الأدبي الدكتور عبد الرضا علي يقول عنه شاعر عصيٍّ على التجبيل. أسهم في تأسيس العديد من المنديات والمطبوعات والصحف الثقافية وشغل رئاسة تحريرها. يعتبر ديوانه "إكليل موسيقى على جثة بيانو" الذي صدر عن دار الساقى في بيروت سنة ٢٠٠٨ أول ديوان شعري مقاوم للاحتلال الأمريكي ولشاعر من داخل الوطن؛ الحطّاب لا يزال يعيش ويعمل في بغداد (الحطّاب، ٢٠١٢: ٢). أهمّ مؤلفاته:

سلاماً أيها الفقراء: صدر في بغداد عام ١٩٧٨ عن وزارة الثقافة والفنون
إنه الوطن إنه القلب: صدر في بغداد عام ١٩٨١ عن دار الجاحظ للنشر
يوم لإبواء الوقت: صدر في بغداد عام ١٩٩٢ عن دار الشؤون الثقافية العامة
يوميّات فندق ابن الهيثم: صدر في بغداد عام ٢٠٠٢ عن دار الشؤون الثقافية العامة

إكليل موسيقى على جثة بيانو: صدر في بيروت عام ٢٠٠٨ م عن دار الساقى

بروفایل للريح... رسم جانبي للمطر: صدر في بيروت عام ٢٠١٢م عن مؤسسة شرق غرب للنشر
قبرها .. أم .. ربيئة وادي السلم: صدر في بغداد عام ٢٠١٦ عن دار الفراهيدي

٣. استدعاء التراث التاريخي

«إنَّ سمة التاريخية تعني كل ما يرتبط بالماضي زمنياً و دلاليّاً، فالمرتبط زمنياً أصبح جزءاً متحقّقاً من التاريخ، والمرتبط دلاليّاً يستمد مواصفاته من الذاكرة التاريخية. بهذا فإنَّ كافة الشخصيات الدينية والأسطورية، والأدبية، والفلكلورية، تتسحب عليها صفة التاريخية»^٢. قبل أن ندخل مباشرة في ظاهرة استدعاء التراث التاريخي وجمالياته ودلالاته في النص الشعري الحديث يجب علينا أن نعرّف التراث لغةً ومفهوماً فهذا الأسلوب يساعدنا على استيعاب المباحث والتمهيد لها.

التراث في اللغة: «الْوَرْتُ والْوَرْتُ والإِرْتُ والْوَرْتُ والإِرْتُ والتُّرَاثُ والتُّرَاثُ واحد. الجوهري: الميراثُ أصله مَوْرَثٌ، انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها، والتُّرَاثُ أصل الناء فيه واو. ابن سيده: والْوَرْتُ والإِرْتُ والتُّرَاثُ والميراثُ: ما وُِرِثَ؛ وقيل: الوَرْتُ والميراثُ في المال، والإِرْتُ في الحسب»^٣.

وقد وردت كلمة «التراث» في القرآن الكريم مرّة واحدة بمعنى ما يُورَثُ أو تَرِكَه المَيِّتُ في الآية الكريمة ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ (الفجر: ١٩). أما في عصرنا الراهن تطوّرت دلالة اللفظة وعُملت إذ إنَّقلت من معنى ضيق إلى معنى أوسع وأشمل، فالتراث بمفهومه الإصطلاحي الحديث هو «كلّ ما خلفه السلف من آثار علميّة وفنيّة وأدبيّة، سواء مادّيّة كالكتب والآثار وغيرها، أم معنوية كالآراء والأنماط والعادات الحضاريّة المنتقلة جيلاً بعد جيل، مما يعتبر نفيساً بالنسبة لتقاليد العصر الحاضر وروحه»^٤.

كان الجور والاضطهاد وعدم وجود حرية بيان رأي حقيقة من أهم الأسباب التي دعت الشعراء لاستدعاء التراث في شعرهم. «في العصر الحديث مرّت دول من الأمة العربية بظروف من القهر السياسي والاجتماعي، ووذت فيه كل الحريات، وفرض على أصحاب الرأي ستار من الصمت الثقيل الفادح كانت أية محاولة لتجاوزه تكلف صاحبها حياته أو في أفضل الظروف تكبده ألوانا من النكال والأذى قد يهون إلى جوار بعضها الموت نفسه. ومن ثمّ لجأ شعراؤنا إلى حيلتهم الخالدة، استعارة الأصوات الأخرى ليتخذوها أبواقا يسوقون من خلالها آراءهم دون أن يتحملوا هم وزر هذه الآراء والأفكار، وقد وجد هؤلاء الشعراء في تراثنا معيناً لا ينضب يمدّهم بالأصوات التي تحمل كل نبرات النقد والإدانة لقوى العسف والطغيان وبالأقنعة التي يتوارون خلفها ليمارسوا مقاومتهم للطغيان»^٦.

٤. أنواع الاستدعاء في الشعر العربي المعاصر

استلهم التراث التاريخي في الشعر المعاصر يكون على شكلين، الأول تقريرية يستعيد أحداث الماضي التي تزدحم بها كتب التراث للتمجيد والتفاخر والتباهي أو التسلي بالماضي الجميل أو يستعيدها للحكمة، والثاني توظيفي يسترجع التراث ليكون وسيلة فعالة للتعبير عن الواقع المعاصر إذ يعيد الشاعر إحياء الشخصيات والوقائع حسب رؤيا شعرية تتوافق مع الحاضر.

٥. مصادر الاستدعاء

المصادر التي يستلهم منها الشاعر المعاصر مادته متنوعة، أهمّها «مصدر الموروث الديني، مصدر الموروث الصوفي، مصدر الموروث التاريخي، مصدر الموروث الأدبي، مصدر الموروث الفلكلوري، مصدر الموروث الأسطوري»^٧. والشاعر في العصر الحديث لا يستدعي المصادر بشكل تقريرية تفصيلي بل يوظفها بأسلوب حديث اعتماداً على دلالتها التراثية لتجاوز زمنها

كي تعيش في زمن القصيدة المكتوبة اليوم، خدمة للقصيدة وإثراءً لدلالاتها الرمزية.

٦. حضور التراث التاريخي في شعر جواد الحطّاب

يُعدّ جواد الحطّاب من أبرز الشعراء العراقيين الذين استدعوا التراث التاريخي بشكل مميز ومختلف. وتوظيف التراث التاريخي يُعدّ سمة بارزة في دوواوينه وهذا يدلّ دلالة جلية وواضحة إلى عمق قراءته للتاريخ فقد جعل الشخصيات التاريخية مرآيا ينعكس عليها واقعه المؤلم الذي رسمه المحتل الأمريكي. وفيما يلي يقوم البحث بدراسة استدعاء الشخصيات التاريخية التي وردت في قصائد جواد الحطّاب ومدى ارتباطها بواقع المجتمع وافرازاتها الدلالية.

٦-١. استدعاء شخصيات اسلامية

المراد من الشخصيات الاسلامية، هي الشخصيات التي عاشت في العصر الاسلامي. الشاعر جواد الحطّاب استدعى هذه الشخصيات في قصائده وأراد من خلال هذا الاستدعاء أن يعبر تعبيراً مباشراً عن الحاضر الذي يعيش فيه. وأهمّ الشخصيات التي استدعاها الحطّاب هي:

٦-١-١. مسلم بن عقيل

مسلم بن عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم وهو ابن عم الحسين بن علي. أرسله الحسين ابن علي إلى أهل الكوفة لأخذ البيعة منهم، فبايعوه ثم خذلوه فظل وحيداً بعد تفرق أهل الكوفة عنه فمسكه في الكوفة وضرب رأسه في اليوم الذي تحرك الحسين من مكة نحو العراق وكان ذلك في ٨ / ذو الحجة / ٦٠ هـ. ق.^٨ وقد عُرف فيما بعد بأنّه سفير الحسين. يستدعي الحطّاب مسلم في شعره، فيقول:

«لو أنّ الكوفة لم تتخاذل عن ابن عقيل

لو أن سليمان تجاهل أمر أبي هاشم

لو أن أبا مسلم لم يتشيع لإبراهيم»^٩

يستدعي الخطاب شخصية مسلم بن عقيل كي يبحث عن القيم والمبادئ التي تتمثل بهذه الشخصية للتأكيد على ما في ذهنه لإصلاح الواقع. فيوجد هنا تقابلاً بين الحق والباطل، مسلم يمثل جانب الحق وأهالي الكوفة الذين بايعوا الإمام الحسين ثم خذلوه واصطفوا مع الامام الحسين يمثلون جانب الباطل. ويسقط الشاعر صورة أهل الكوفة الذين تركوا مسلم بيد الجلادين على أمثالهم في العصر الحاضر ممن يخذلون المناضلين ويقفون موقف المتفرج حين تسيطر عليهم مشاعر الخوف من الحاكم أو السلطة.

٦-٢-١ سليمان بن عبد الملك

سليمان بن عبد الملك بن مروان، الخليفة الأموي السابع، وُلد بدمشق سنة ٥٤ هـ وولي الخلافة بعد وفاة أخيه الوليد بن عبد الملك سنة ٩٦ الهجرية، ومدة خلافته لا تتجاوز السنتين وسبعة شهور. استدعى الشاعر جواد الخطاب هذه الشخصية في شعره:

«لو أن سليمان تجاهل أمر أبي هاشم

لو أن أبا مسلم لم يتشيع لإبراهيم»^{١٠}.

«يوم وفد عبد الله أبي هاشم، الذي اعترفت بامامته الشيعة الكيسانية بعد موت والده محمد بن علي بن أبي طالب (محمد بن الحنفية) خاف سليمان من علمه وفصاحته وحضوره الطاغي؛ فدرس له من وضع السم في طعامه أثناء الطريق؛ حتى إذا شعر الإمام بدنو الأجل، مال إلى ولد عمه (العباسيين) في ناحية البلقاء بالشام؛ ولبعده عن أهله أوصى بالإمامة إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس؛ على أن يعيدها للعلويين حين يلتقيهم؛ ومحمد هو والد إبراهيم الإمام الذي قام بالدعوة العباسية بمساندة من أبي مسلم الخراساني»^{١١}. في هذا المقطع الشعري يتضح فهم وسلامة إدراك الشاعر بأحوال ووقائع العصر

الأموي وانعكاس هذه الوقائع على واقعه في العراق فلو حصل خلاف ما حصل
لكان الواقع يختلف عما هو عليه اليوم.

٦-٢. استدعاء الشخصيات العباسية

بدأ العصر العباسي في عام ٧٥٠ م وانتهى عام ١٢٥٨ م وكان هذا العصر
حافلاً بتيارات فكرية وعلمية وأدبية مختلفة. «لقد كان عصر نفوذ الخلفاء
العباسيين عصر ازدهار في النهضة الفكرية والأدبية، بعامل تشجيع الخلفاء
للعلوم والآداب. وفي عصر اضمحلال نفوذ الخلافة العباسية أخذ العلم والأدب
في الازدهار كذلك. بسبب تشجيع الدويلات التي انشعبت من المملكة
الاسلامية واستقلت، فقد كان لكل دولة عاصمة تنافس بغداد النفوذ والسلطان
والحضارة»^{١٢}. يُعتبر هذا العصر من أخصب العصور التاريخية لدى العرب
وقد ركّز الشعراء على استدعاء شخصيات هذه الفترة الزمنية؛ والشاعر جواد
الخطّاب أيضاً استدعى بعض الشخصيات التاريخية العباسية لكي يعبر من
خلالها عن فكرته ورؤيته الفنية ومن هذه الشخصيات المستدعاة في تجربة
الشاعر هي صاحب بن عباد وأبو الطيّب المتنبّي وفاتك الأسدي.

٦-١-٢ صاحب بن عباد

وُلد ابن عباد سنة ٣٢٦هـ، وبدأ دراسته الأولى عند "الكتاب" في المسجد، ثم
اتصل بأبي الفضل محمد بن العميد وزير آل بويه فتولّى منصب الكتابة لديه،
ونجح في منصبه ذاك نجاحاً عظيماً حتّى أنّ الأمير مؤيد الدولة البويهّي لما
اراد السفر إلى بغداد في سنة ٣٤٧هـ لم يجد غير ابن عباد من يصلح للكتابة
له والمرافقة فصحبته في تلك الرحلة. وتقدّم الحال بابن عباد اثر عودته إلى
بلاده فأصبح متقلداً منصب الكتابة للأمير البويهّي مؤيد، وبقي كذلك حتّى عام
٣٣٦هـ حيث نال فيه منصب الوزارة لمؤيد الدولة السالف الذكر؛ ثم لفخر
الدولة من بعده، وظل بمنصبه هذا حتى وافته المنية سنة ٣٨٦هـ^{١٣}. كان

الصاحب بن عباد من أشد الأعداء للمتنبّي؛ استدعى جواد الحطّاب هذه الشخصية فقال:

«يقول الصاحبُ بن عباد

كان المتنبّي

مذيعاً في (T.V) الحمدانيّين

... وتهكم

(...مختصّ ببيانات الحرب على بيزنطة)»^{١٤}.

كتب الصاحبُ بن عباد كتاباً تحت عنوان "الكشف عن مساوئ شعر المتنبّي" وأراد به الحط من قيمة شاعريته. وفي سبب هذا الحقد «يحكى أنّ الصاحب أبا القاسم طمع في زيارة المتنبّي إياه... وأجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان، وهو إذ ذاك شاب وحاله حويلة، ولم يكن استوزر بعد، وكتب إليه يلاطفه في استدعائه وتضمن له مشاطرته جميع ماله، فلم يُقْم له المتنبّي وزناً ولم يجبه عن كتابه ولا إلى مراده... فاتخذ الصاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقية ويتتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته»^{١٥}.

في هذه المقطوعة يختار الشاعر جواد الحطّاب ما يناسب تجربته من ملامح شخصية الصاحب بن عباد، وهو ملمح الحقد والتشهير وتشويه السمعة. لقد وجد جواد الحطّاب في هذه الحادثة التاريخية معادلاً موضوعياً للواقع الذي يعيشه العالم العربي راهناً.

٦-٢-٢. أبو الطيب المتنبّي

يُعدُّ المتنبّي (٩١٥-٣٥٤ هـ)^{١٦} أكبر شاعرٍ عربي، عاش في العصر العباسي وهو من أكثر الشعراء الذين تمّ استدعائهم في الشعر العربي المعاصر. «على الرغم من غنى شخصية المتنبّي بالدلالات وتعدّد أبعادها، فإنّ البُعد السياسي بالذات من بين أبعاد شخصية المتنبّي كان أكثرها اجتذاباً لشعرائنا الذين حاولوا

أن يعبروا من خلاله عن كثير من الجوانب السياسية في تجربة الشاعر المعاصر»^{١٧}.

«وُلِدَ أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي بالكوفة في محلّة يقال لها كندة. وكان شاعراً مفلحاً شديد العارضة راجح العقل عظيم الذكاء، قدم الشام في صباه واشتغل في فنون الأدب ولقي في رحلته كثيراً من أئمة العلم فتخرّج عليهم وأخذ منهم. وكان من المطلّعين على أوابد اللغة وشواردها حتّى إنه لم يُسأل عن شيء إلّا استشهد له بكلام العرب من النظم والنثر. وقد سُمي بالمتنبي لأنّه ادّعى النبوة في بادية السماوة من أعمال الكوفة»^{١٨}؛ قُتل على يد فائق بن أبي جهل الأسدي. استدعى جواد الحطاب هذه الشخصية في شعره:

«قال خراساني:

رأيت المتنبي يبيع الهمبرغر
في صالة مك دونالد

Mix

المتنبي؛ عارض أزياء

Mix

المتنبي

يعلن عن أكبر سوق بضائع
في الشرق الاوسط

Mix

المنتبي؛ في مطبخ فندق
يستعرض: أكلات اليوم»^{١٩}.

يصوّر الشاعر جواد الحطّاب من خلال شخصية المنتبي الانتهاكات التي
تمارسها الأجانب بحق العرب. فالمراد من «خراساني» في هذا المقطع،
العنصر الأجنبي.

٦-٣-٢. فاتك الأسدي

فاتك بن أبي جهل الأسدي هو قاتل «المنتبي مع ولده مُحَسَّد وغلّامه مفلح
على مقربة من دير العاقول في الجانب الغربي من سواد بغداد. وكان مقتله
في ٢٨ رمضان سنة ٣٥٤ هـ ٢٧ أيلول سنة ٩٦٥ م. أمّا سبب قتله فقليل هو
تلك القصيدة التي هجا بها ضبة بن يزيد العيني وكانت والدّة ضبة شقيقة فاتك
المذكور»^{٢٠}. جاء توظيف الشاعر لفاتك الأسدي تعبيراً عن روح العصر وهموم
الواقع المكتظ بأكثر من فاتك. يستدعي الحطّاب فاتك في شعره فيقول:

«هل فاتك... فاتك

أم أنّ الفتّاك جميعاً

كمنوا فيه...؟»^{٢١}.

في هذا المقطع يختار جواد الحطّاب ما يناسب تجربته من ملامح شخصية فاتك
الأسدي؛ فاتك الذي اجتمع فيه الفتّاك جميعاً هو رمز للشرّ فانطوت على يده
صفحة مشرقة من صفحات الابداع الشعري. وهذا الرمز لا يختص بزمنٍ معيّن،
فاتك الشرير الذي عجز عن مقارعة الكلمة بالكلمة فلجأ إلى الدم والسيف هو
نفسه الذي يزرع المفخّخات في شارع المنتبي ليقتل الأدباء والشعراء وباعة
الكتب.

٧. استدعاء تاريخ العراق المعاصر

يحتفل تاريخ العراق المعاصر بالكثير من الأحداث المهمة التي ابتدأت بثورة العشرين وتنصيب الملك فيصل الأول بن حسين الهاشمي ملكاً على عرش العراق في عام ١٩٢١ مروراً بثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ التي أطاحت بالمملكة العراقية الهاشمية ووصول عبدالكريم قاسم إلى سدة الحكم، ومن ثم انقلاب البعثيين لسلطة الزعيم عبدالكريم قاسم ٨ شباط ١٩٦٣ وتوليهم شؤون البلاد إلى عام ٢٠٠٣ م. ركّز الشاعر جواد الحطّاب في شعره على الأحداث السياسية المعاصرة، واستدعائه للتاريخ المعاصر يُعدّ عنصراً بارزاً في دواوينه الشعرية. فكما تصرّف مع الشخصيات والأحداث التاريخية القديمة، تصرّف مع الشخصيات والأحداث التاريخية المعاصرة. في مايلي نذكر أهمّ هذه المحطات التاريخية في شعره:

٧- ١. ثورة العشرين

ثورة اندلعت نيرانها في العراق عام ١٩٢٠م، ضد الاستعمار البريطاني، جراء عدم اعتراف الحكومة البريطانية بالوعود التي اعطتها للعراقيين بنيل الاستقلال كدولة عربية مستقلة بعدما كانت تحت وطأة العثمانيين. وقد أشار الحطّاب إلى هذه الثورة بقوله:

«يتسلل من كتب التاريخ رجال الدين النجفيون

(الجزر التريبي لعشائر زوبع)

لاتنقصهم الأسطورة

مكوار أعزل

يقرب (في صينية مدفع) نجوما للقالات

ويتكوكب في الأبدية»^{٢٢}.

أثّلت الضباط البريطانيون المنهزمون صينية رمي المدفع الذي انتزعه الثوار العراقيون منهم في معارك الكوفة فاصبح عديم الفائدة؛ وعند فحص المدفع

بالكوفة من قبل ضباط عراقيين وممن كانوا من خريجي الكليات العسكرية العثمانية الذين التحقوا بالثورة، قالوا أنَّ المدفع عديم الفائدة دون الصينية وأنَّ مثل هذه الصينية موجودة فقط في مخازن الجيش البريطاني في بغداد. فما كان من الثوار إلَّا إرسال أحدهم إلى بغداد وسرق صينية بديلة من مخازن الجيش البريطاني الموجودة في العاصمة في حادثة بطولية تذكرها وقائع ثورة العشرين^{٢٣}. لقد وجد جواد الحطّاب في ثورة العشرين معادلاً موضوعياً للمقاومة العراقية ضدَّ المحتل الأمريكي.

٧-٢. استدعاء شخصية الملك فيصل الثاني

وُلِدَ فيصل بن الملك غازي بن فيصل في ٢ آيار ١٩٣٥ وكان الملك غازي قد سمّى ابنه باسم والده الملك فيصل الأول. في ٤ نيسان ١٩٣٩ دَوّت في سماء بغداد ٢٧ اطلاقة مدفع تعلن وفاة الملك غازي ملك العراق وكانت تلك الاطلاقات تشير إلى عدد سنوات عمر الملك واجتمع مجلس الوزراء صباح اليوم نفسه وأعلن فيصل الثاني ملكاً على العراق وكان آنذاك في الرابعة من عمره لذا عُيِّن خاله الأمير عبدالإله وصياً على الملك فيصل الثاني إلى أن يبلغ سن الرشد القانونية^{٢٤}.

قد استحضر الشاعر جواد الحطّاب شخصية فيصل الثاني في رسم صورة فنية رائعة:

«... معودين

لا تجمعوا اسمين في اجسادكم

يكره العراقيون تزواج الأسماء

حتى..

حين صار لديهم (فيصل ثاني)

.. قتلوه»^{٢٥}.

مفردة "معودين" هي صرخة عميقة مفعمة بالحزن والغضب والفشل يخاطب بها الشعب ويقول له إِنَّ الحقيقة لا يمكن أن تكرر، فحين تتكرر الحقيقة، تتوقف عن كونها حقيقة، فعندما تكرر الفيصل قُتل على يد العراقيين.

٧-٣. الإضرابات الشعبية في البصرة (كانون أول ١٩٥٣)

في العقد الثاني من القرن العشرين ظهر عدد من العراقيين الذين تأثروا بالأفكار الماركسية، وقد أسس هؤلاء تنظيم (الحزب الشيوعي العراقي) في عام ١٩٣٤ وبدأت جماعات كثيرة من جنوب العراق تنتمي لهذا الحزب وتؤمن بمبادئه وقد وصل نشاطهم المناهض للملكية ذروته في الخمسينيات. «شهدت البصرة في الربع الأخير من عام ١٩٥٣، موجة كبيرة من الإضرابات العمالية، إثر تسلم سلام عادل قيادة تنظيم المنطقة الجنوبية. عندها أخذت سماته القيادية وقدرته التنظيمية، تتجسد في الحياة السياسية، فالبصرة مدينة عمالية فيها المئات من عمال الموانئ وعمال النفط والسكك... إلخ»^{٢٦}. وقد استدعى الشاعر جواد الحطّاب هذه الأحداث في شعره:

«.. هل تسمع الأخبار ؟

عمّال (الشعبية) أعلنوا الإضراب

تبثّل الحصيرة والكلام ..

..سمعوا الملازم:

إنّهم من ليلتين يحاصرون الجامعة»^{٢٧}.

في هذا المقطع إن جواد الحطّاب قد تجاوز الدلالة التاريخية لأحداث البصرة ليحملها أوجاع كل عراقي ينادي بالتغيير.

٧-٤. استدعاء شخصيات أجنبية ارتبطت بتاريخ العراق المعاصر

بدأ الغزو الأمريكي للعراق في شهر مارس/آذار عام ٢٠٠٣ بحجة وجود أسلحة دمار شامل، ولكن بعد سنوات ظهرت الحقيقة فلم يكن العراق يمتلك هذه الأسلحة، وكانت كل تلك المزاعم ذرائعاً ضعيفة استخدمتها الولايات المتحدة الأمريكية لغزو العراق. خلف هذا الغزو دماراً كبيراً وأثار فتناً طائفية وحروباً أهلية. اتخذ جواد الحطّاب موقفاً ضد هذا الاحتلال وقد دافع عن وطنه بشجاعة كبيرة وناضل ضد الوجود الأجنبي وقد استدعى في قصائده شخصيات إنجليزية معروفة لدى الشعب العراقي بالعداوة ليؤكد من خلالها على ضرورة التصدي للقوات الأمريكية حيث لافرق بين محتل وآخر، كما تم التصدي للقوات البريطانية في بداية القرن العشرين. ومن الشخصيات التي تم استدعائها:

- **بيرسي كوكس:** (٢٧ نوفمبر ١٨٦٤ - ٢٠ فبراير ١٩٣٧) وهو سياسي بريطاني ساهم في رسم السياسة البريطانية في العراق والوطن العربي بعد انهيار الدولة العثمانية.
- **مس بيل:** (مواليد ١٤ يوليو ١٨٦٨ - الوفاة ١٢ يوليو ١٩٢٦) وهي جاسوسة وباحثة ومستكشفة وعالمة آثار بريطانية عملت في العراق مستشارة للمندوب السامي البريطاني بيرسي كوكس في عقد العشرينيات من القرن العشرين.
- **بول بريمر:** وهو دبلوماسي أميركي عينه الرئيس جورج بوش الابن رئيساً للإدارة الأميركية في العراق في ٦ مايو/أيار ٢٠٠٣ وتسببت قراراته في دخول العراق دوامة حروب أهلية لا تنتهي.
- **باربرا بودين:** وهي دبلوماسية أميركية تولّت منصب سفراء الولايات المتحدة الأميركية في اليمن منذ عام ١٩٩٧ حتى ٢٠٠١ وعندما بدأت الحرب العراقية الأميركية «تم تقسيم العراق إلى ثلاث مناطق يدير المنطقة

الشمالية الجنرال المتقاعد بروس مور، والمنطقة الجنوبية يديرها الجنرال المتقاعد باك والترز، أمّا الوسط فكان من خصّة امرأة هي بابارا بودين»^{٢٨}.

يقول الحطّاب:

«..أخيراً

أخيراً أيتها الفالة

تمكّنت المجنّات

من أرحام آبائنا..؟؟

..من بيرسي كوكس

إلى بول بريمر

..من مس بيل

إلى باربرا بوداين»^{٢٩}.

ومن خلال هذا النص نرى أن الحطّاب لا يقيم فرقاً بين الإنجليزي بيرسي كوكس والأمريكي بول بريمر فكلاهما دخلا العراق لأسباب سياسية واقتصادية وحتى حضارية. استدعى الحطّاب الإنجليزين بيرسي كوكس ومس بيل ليصوّر من خلالهما ملامح الأميركي المحتل ورجاله وليذكر العراقيين الذين زرعوا "قالاتهم" بصدور المحتلين وهزموا الجيش البريطاني في العشرينيات بأن لافرق بين محتل جديد ومحتل قديم ويجب أن تتصدوا للأمريكيين وتخرجونهم من أراضيكم كما أخرج أجدادكم الإنجليز بالفالة والمكوار فيؤكد أنّ الحرية لا تتحقّق إلّا بالتضحية والفداء.

٨. استدعاء الأماكن التاريخية في العراق

استدعى الشاعر جواد الحطّاب الأماكن التاريخية المعاصرة والقديمة منها واستلهاهم للأماكن والمحلات التاريخية يُعدّ عنصراً فعالاً في تجربته الشعرية.

٨ - ١. دير العاقول

«بين مدائن كسرى والنعمانية، بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخاً على شاطئ دجلة كان، فأما الآن فبينه وبين دجلة مقدار ميل، وكان عنده بلد عامر وأسواق أيام كون النهروان عامراً، فأما الآن فهو بمفردة في وسط البرية وبالقرب منه دير قنى...»^{٣٠}. يستدعي الخطاب هذا الدير في شعره فيقول:

«لا توجد في الأفق قرى

... وكآخر ما في العالم

يبدو: دير العاقول»^{٣١}.

دير العاقول هو المكان الذي أُغتيل فيه المتنبّي وابنه محسّد وغلّامه مفلح. أراد الشاعر من خلال هذه الحادثة أن يعبرّ تعبيراً مباشراً عن الحاضر إذ استخدم دير العاقول استخداماً رمزياً.

٨ - ٢. القشلة

بُنيت وأسست القشلة حسب الأوامر السلطانية العثمانية؛ وحين دخل الإنجليز العراق عام ١٩١٧ اتخذوا ضباطهم مقراً لهم ولعوائلهم؛ وفي عام ١٩٢١ توجّ الملك فيصل الأول في هذا المكان كأول ملك على العراق، ومفردة القشلة هي مفردة تركية kişla نسبة إلى «قيش» kiş أي الشتاء. جاء في معجم المصطلحات العثمانية: «قشلة kişla معسكر شتوي، نسبة إلى قش التي تعني الشتاء، وقد أطلق فيما بعد على ثكنات الجيش كافة»^{٣٢}. يستخدم الشاعر جواد الخطاب القشلة في شعره فيقول:

توقّف الديكُ المعدنيُّ عن الدوران

فوق بناية «القشلة»

..أجلس عند مفترق الهاتفات

تحيط بي النوارسُ

وتصنع لي الامواج

حساءً بارداً..

من خشبٍ وغرقى^{٣٣}.

٨ - ٣. كعك السيّد

محل معجنات مشهور في بغداد يعود تاريخه إلى ما قبل تأسيس الدولة العراقية الحديثة. وقد نظّم فيه الرصافي والزهاوي قصائد وكان أحد عوالم رواية الرجع البعيد لفؤاد التكرلي؛ ومن رواده: العائلة الملكية، نوري السعيد، وعبد الكريم قاسم. استدعى الحطّاب هذا المكان في شعره:

«في الزمن التقريبي لـ (كعك السيّد)

اصيب بالفوتوغراف»^{٣٤}.

فمثلما تعامل مع الأماكن التاريخية القديمة كدير العاقول الذي قُتل فيه المتنبّي، تعامل مع الأماكن التاريخية المعاصرة، والتي وجد فيها منبعاً ثراً من الدلالات الإيحائية التي تخدم رؤاه الشعرية، وتقربه أكثر فأكثر إلى قلوب متلقّيه.

٩. استدعاء رموز تراثية معاصرة

نجد الرموز المستمدة من التراث جلية في قصائد جواد الحطّاب ممّا يدلّ على أصالته وارتباطه الوثيق بجذوره الثقافية الضاربة في عمق حضارته. «الفالة» و«المكوار» هما رمزان شعبيان من رموز التراث الشعبي استخدمهما الحطّاب في شعره:

٩ - ١. الفالة

الفالة عصا في رأسها حديدة ذات ثلاث أو أربع شعب حادة تستخدم لصيد السمك في الأهوار. وقد وردت في المعاجم العربية القديمة بالباء أي بالة؛ «البال: جمع بالة وهي عصاً فيها زُجّ تكون مع صيّادي أهل البصرة، يقولون: قد

أمكنك الصيدُ فألقِ البالة. وفي حديث المغيرة: أنه كره ضرب البالة؛ هي بالتخفيف، حديدة يصاد بها السمك»^{٣٥}.

ويعود تاريخ الفالة إلى صيادي الأسماك السومريين؛ وقد استخدمها رجال العشائر سلاحاً في ثورة العشرين ضد الاستعمار البريطاني ومن أهازيجه: «رد فالتنا احتاجيناها» وهي تحكي عن قصة أحد الثوار الذي شك فالتة بأحد جنود الإنجليز وطالبه باسترجاعها. يستدعي الشاعر جواد الحطّاب هذه الآلة في شعره كرمز للثورة والوقوف بوجه المحتل وإزالة الحرمان:

«أخيراً..

أخيراً أيتها الفالة

تمكّنت المجنّدات

من أرحام آبائنا..؟؟»^{٣٦}.

في هذا المقطع نلاحظ كيف تم كبس الزمن الفاصل بين زمنين: زمن «الفالة» وزمن «المجنّدات» في العراق. ومن الواضح أنّ حذف الزمن معناه أنه، في الحقيقة، لم يكن هناك أي فاصل بين الزمنين، وأن هذا مرتبط بذاك، ويمكننا أن نرى بشكل فجائي كيف أن الماضي يصبح مستقبلاً!

٩ - ٢. المكوار

المكوار بالجيم القاهرية أي «مكوار» عبارة عن عصا غليظة تنتهي بكتلة من القار المتماسك وقد استخدم المكوار أيضاً سلاحاً في ثورة العشرين ضد الاستعمار البريطاني ومن أهازيجه المعروف: «الطوب أحسن لو مكواري» وقد قيلت بعد أن غنم الثوار مدفعاً إنجليزياً بالمكواير. وقد أشار الحطّاب إليه في ما يلي:

«يتسلّل من كتب التاريخ؛ رجال الدين النجفيون

(الجزر التريبيعي لعشائر زوبع)

لا تتقصهم الأسطورة

: مكوار أعزل

يقرب (في صينية مدفع) نجوماً للفلالات

ويتكوكب في الأبدية.^{٣٧}

مع التطور الحضاري اصيبت صناعة المكوير بالشلل وأصبح استخدامها قليلاً

ولكنها لا تزال رمزاً من رموز النضال ضد الوجود الأجنبي، يتغنى به الشعراء

وهنا الشاعر جواد الخطاب استخدم المكوار كدليل يأخذ بيد القارئ إلى الهدف.

الخاتمة:

يصل البحث من دراسة المادة التاريخية في شعر جواد الخطاب إلى النتائج

الآتية:

- الشاعر جواد الخطاب ركب في قصائده بين التراث والحداثة وأثبت أن

الحداثة ليست معادية للتراث؛ بل جعل من التراث أداة جمالية تخدم الموضوع

الشعري، وتؤدي وظيفة جمالية تساعد على إثراء الدلالات.

- إن التاريخ في تحويله إلى الشعر يفتقد بعض الخصائص ويتسم بخصائص

جديدة تتلائم مع مقومات الشعر.

- وجد الخطاب في التراث التاريخي مادة خصبة للتعبير عن أفكاره النضالية

بحيث تتماشى مع روح العصر وتطلعاته وطموحاته، وقد وجد طاقات غنية في

استدعائه للتراث فاتّخذ أداة للإفصاح عن مشاعره وأفكاره.

- استدعى الشاعر جواد الخطاب شخصيات شريرة كشخصية فانتك بن أبي

جهل الأسدي وغيره تعبيراً عن روح العصر وهموم الواقع المكتظ بالشر

والأشرار.

- استدعاء الشخصيات التراثية تُعتبر من أبرز التقنيات التي اعتمدها الشاعر في قصائده، لتمنحها طاقة فكرية، لأنّ الشخصيات المستدعاة غالباً ما يكون لها في الذهن والوجدان إحياءات دلالية عاطفية.

- كان الشاعر في قصائده لا يقيم فرقاً بين الاحتلال الإنجليزي لأرض العراق في عشرينيات القرن الماضي والأمريكي في ٢٠٠٣ فالإحتلال احتلال وإن تعددت أسمائه.

الهوامش والمصادر

- ١ مصطفى ناصف: دراسة الأدب العربي، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، د.ن، ص ٢٠٥
- ٢ علي عشري زايد (١٩٩٧م). استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٧م، ص ١٢٠
- ٣ سامح الرواشدة: القناع في الشعر العربي الحديث، جامعة موته، مطبعة كنعان، ١٩٩٥م، ص ١٠
- ٤ محمد بن منظور: لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٣٠٠هـ، ٢/ ص ٢٠٠
- ٥ أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٨م، ص ٢٤٢١
- ٦ علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٧م، ص ٣٣
- ٧ المصدر السابق، ص ٧٣
- ٨ ابن طاووس: الهفوف في قتلى الطفوف، بيروت، منشورات الأعلمي للمطبوعات، ص ٣٧-٣٨
- ٩ جواد الخطّاب: إكليل موسيقى على جثة بيانو، بيروت، دار الساقى، ٢٠٠٨م، ص ٩
- ١٠ المصدر السابق، ص ٩
- ١١ المصدر السابق، ص ٥
- ١٢ محمد خفاجي: الحياة الأدبية في العصر العباسي، الإسكندرية، دار الوفاء. ٢٠٠٤م، ص ١١
- ١٣ صاحب بن عباد: الكشف عن مساوئ المتنبي، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٦٥م، ص ١٠
- ١٤ جواد الخطّاب: إكليل موسيقى على جثة بيانو، بيروت، دار الساقى، ٢٠٠٨م، ص ١٢
- ١٥ يتيمة الدهر: ١٠٠/١-١٠١ نقلًا عن آل ياسين محمد حسن: الكشف عن مساوئ المتنبي، بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٦٥م، ص ١٨

- ١٦ المتنبى: *ديوان المتنبى*، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣ م، ص ٥
- ١٧ علي عشري زايد (١٩٩٧ م). *استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر*، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٧ م، ص ١٣٨
- ١٨ المتنبى: *ديوان المتنبى*، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣ م، ص ٥
- ١٩ جواد الخطّاب: *إكليل موسيقى على جثة بيانو*، بيروت، دار الساقى، ٢٠٠٨ م، ص ١٢-١٣
- ٢٠ المتنبى: *ديوان المتنبى*، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣ م، ص ٦
- ٢١ جواد الخطّاب: *إكليل موسيقى على جثة بيانو*، بيروت، دار الساقى، ٢٠٠٨ م، ص ١١
- ٢٢ جواد الخطّاب: *بروفائيل للريح... رسم جانبي للمطر*، بيروت، مؤسسة شرق غرب للنشر، ٢٠١٢ م، ص ٢٣
- ٢٣ المصدر السابق، ص ٢٣
- ٢٤ طارق ابراهيم: *سيرة حياة الملك فيصل الثاني*، عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع، ٢٠١١ م، ص ٩-١١
- ٢٥ جواد الخطّاب، جواد: *بروفائيل للريح... رسم جانبي للمطر*، بيروت، مؤسسة شرق غرب للنشر، ٢٠١٢ م، ص ١٠
- ٢٦ كاظم الموسوي: *المطرقة والمنجل في العراق*، بيروت، دار الفارابي، (٢٠١١ م)، ص ٧٤
- ٢٧ جواد الخطّاب، جواد: *بروفائيل للريح... رسم جانبي للمطر*، بيروت، مؤسسة شرق غرب للنشر، ٢٠١٢ م، ص ٣٦
- ٢٨ وليد الزبيدي: *جدار بغداد*، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٥ م، ص ٧٨
- ٢٩ جواد الخطّاب: *بروفائيل للريح... رسم جانبي للمطر*، بيروت، مؤسسة شرق غرب للنشر، ٢٠١٢ م، ص ٢١
- ٣٠ (الحموي، ٥٢٠/٢ نقلاً عن ابن كثير الدمشقي: *البداية والنهاية*، تحقيق عبدالله بن عبدالحسن التركي، ج ١٦، حيزة، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٩٨ م، ص ١٦٢
- ٣١ جواد الخطّاب: *إكليل موسيقى على جثة بيانو*، بيروت، دار الساقى، ٢٠٠٨ م، ص ١١
- ٣٢ سهيل صابان: *المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية*، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطني، ٢٠٠٠ م، ص ١٨١
- ٣٣ جواد الخطّاب: *بروفائيل للريح... رسم جانبي للمطر*، بيروت، مؤسسة شرق غرب للنشر، ٢٠١٢ م، ص ٨٢
- ٣٤ المصدر السابق، ص ٨٢
- ٣٥ محمد بن منظور: *لسان العرب*، بيروت، دار صادر، ١٣٠٠ هـ، ١١/ص ٧٥
- ٣٦ جواد الخطّاب: *بروفائيل للريح... رسم جانبي للمطر*، بيروت، مؤسسة شرق غرب للنشر، ٢٠١٢ م، ص ٢١
- ٣٧ المصدر السابق، ص ٢٣